

الحلقة (٤)

لا يزال حديثنا موصول ومتصل عن بعض آيات من هذه السورة المباركة سورة البقرة، فنحن سنعيش بعد قليل عمن تاب أو أنه كان مؤمن ولم يرد، فيا ترى ما جزاؤه؟ ولعلها أي الآية تبين للآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾

← فمن لم يرد وثبت على إيمانه ما جزاؤه؟

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)﴾

ولعل لنا وقفة سيرة إذ الآية الكريمة واضحة في معناها ومبناها، وننتقل إلى آية أخرى، بيد أنا نعيش مع بعض المفردات.

❖ مفردات الآية:

﴿قوله تعالى ﴿هَاجَرُوا﴾: أصل الهجر، ضد الوصل، وقد هجره هجراً وهجراناً، والاسم الهجرة، والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية، والتهاجر: التقاطع، إذاً هذه مادة هَجَرَ. ﴿جَاهَدُوا﴾: جاهد مفاعلةً من جَهَدَ إذا استخرج الجهد مجاهدةً وجهاداً، والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود، والجُهاذ: الأرض الصلبة، فالمادة جَهَدَ تدور على المشقة والوسع. ﴿يَرْجُونَ﴾: أصل الرجاء الأمل، يقال رجوت فلان رجواً ورجاءً ورجاوة، يقال ما أتيك إلا رجاًوة أو إلا رجاًوة خير وترجيتته وارتجيتته ورجيتته كله بمعنى، وقد يكون الرجاء والرجو بمعنى الخوف كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي لا تخافون عظمة الله عز وجل، والرجا بغير الهمز ناحية البئر، وكل ناحية من ناحيتين البئر يقال لها رجا.

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)﴾ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

في واقع الأمر هذه الآية الكريمة ينظر إليها أو يؤسس من خلالها قاعدة اجتماعية مهمة، وهي التدرج في الأحكام أو التدرج في الأشياء، نحن نعلم أن تحريم الخمر مر بمراحل، هذه المراحل هي ثلاث، جاء عند البخاري رضي الله عنه ورحمه الله تعالى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (والله لو أول ما نزل من القرآن لا تشربوا الخمر لقالوا والله لا ندعها أبداً) هذا عند البخاري رحمه الله تعالى، فإذا أرادت عائشة رضي الله عنها أن تبين لنا أن القرآن الكريم دائماً في عاداته وتشريعاته يسلك مسلكاً يجب على المصلح وعلى غير المصلح ممن يسعى في إيجاد أمر أن يسلكه، كيف

كان ذلك كذلك؟ نحن نعلم أن من القرآن ما هو مكي وما هو مدني، مكي القرآن يُعنى بالعقيدة وإظهارها وتثبيتها في أنفس الكفار وما إلى ذلك.

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَا جَاءَ عَنِ الْخَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ المرحلة الأولى.

فإذا القران ذكر في معرض النعم التي ذكرت في سورة النحل منها أن هناك بعض الفواكه تتخذون منها فوائد ومضار، فالفوائد الأكل وو إلى آخره، ومن المضار تتخذون من عينها، من هذه الفاكهة، أكانت العنب أم غيرها تتخذون منها الخمر، فالآية ذكرت وعددت النعم وسكتت، فلم تقل أن الخمر محرم أو كذا، ولم تشر إلى الخمر باسمها الصريح، وإن كان كما يقول فيروز أبادي: (العرب جعلت للخمر ألف اسم) ذلك في كتابه المفقود الذي أشار إليه (الروض المسلول في ما كان من الأسماء ما له اثنان إلى ألوف) ذكر أن العرب جعلت اهتماماً للخمر ألف اسم، فإذا القرآن لم يشر هنا في مكيه إلى الخمر بتاتاً، قال إنكم يا معشر الكفار تستفيدون من هذه الفواكه التي أوجدها الله عز وجل لكم تستفيدون منها وكذا ولكنكم أيضاً تجعلونها في أمور أخرى منها تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسناً.

﴿ المرحلة الثانية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ الآية من سورة النساء.

لاحظوا أن الناس الآن بدؤوا ينتقلون إلى المرحلة الأخرى المرحلة الثانية وهي مرحلة تثبيت الإيمان، لم يرسخ الإيمان في القلب، لكن هم يعايشون في المجتمع، فالآية وضعت لهم شرطاً على الإنسان الذي يشرب الخمر لكن إن حالت الصلاة فيجب عليه أن يحضرها وهو في كامل قواه العقلية، فإذا لاحظوا الأسلوب الجميل الذي هو التدرج، أنه نهاهم أن يأتوا الصلاة وهم سكارى، وسبب نزول تلك الآية معروف وشهير.

﴿ المرحلة الثالثة: هي الآية التي معنا ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فإذا يسألك المسلمون عن الخمر والميسر، لا حظوا أن النفوس قد تهيأت مئة بالمائة لمعرفة الحكم الشرعي، يعني القرآن نهاهم عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى وسكت، أما في غير أوقات الصلاة يشربه ما في مشكلة، الآن هم بدؤوا يتساءلون هم بدؤوا متشوقين للحكم يتساءلون، فجاء القرآن ععادته ذكر أن في الخمر مضار كثيرة، ولكنه أيضاً وهو المحايد دائماً قال ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾.

بعض الناس يأتي ويتكلم ويقول هذه الشريعة... فيا أخي أنت اقتدي بالقرآن كن دائماً في آرائك متحفظاً، بحيث تذكر ما للشخص الذي أمامك وما عليه، الله عز وجل يقول: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ فإذا ما عرف بقانون النسبية نسبية الأشياء.

فإذاً في الخمر آثام وأي آثام ولكن فيها منافع، هذه المنافع قد يتساءل شخص ويقول ما منافع الخمر؟ يقال أن في الخمر أولاً نشوة، ثانياً بين قوسين (الرشاقة الرجيم) طبعاً لا يعني هذا أننا ندعو للاختمار لأن يذهب الناس لا، هذه بعض الحاجات التي يذكرونها، ولعل خير من ذكر صفحة كاملة في منافع الخمر المزعومة عند الناس هو القاسمي في تفسيره، نعم، فإذاً هناك بعض المنافع التي هي تجارية، التاجر قد يعني تبلغ تجارته المئين من الألوف بسبب الاتجار في الخمر، أيضاً النشوة وما إلى ذلك. ﴿فلما استقرت الأنفس﴾ والقرآن بين هنا بحيادية تامة وانطلاقاً من قانون النسبية، فبعد ذلك هم أنفسهم جاء عمر إلى الرسول ﷺ قال يا رسول الله: نسأل الله أن ينزل علينا في الخمر حكماً شافياً، فنزل قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قالوا انتهينا انتهينا انتهينا وبهذا الأسلوب الجميل الذي يجب أن يقتدي به الكل، كيف اقتلع القرآن الكريم من جذور القلوب حب الخمر، ففضى على تلك الآفة الشنيعة بأسلوب حكيم كعادة القرآن.

❖ مفردات الآية:

﴿عَنِ الْخَمْرِ﴾ ما الخمر؟ الخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة، فخمار المرأة لأنه يستر المرأة، فعند العرب خمار المرأة لأنه يستر يطلق عليه الخمار، وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره، ومنه (خَمَرُوا أَنْبَتَكُمْ) الحديث عند البخاري رحمه الله وغيره، فالخمر تخمر العقل أي تغطيه وتستره، ومن ذلك الشجر الملتف يقال له الخمر لأنه يغطي ما تحته ويستره، يقال منه أخمرت الأرض أي إذا كثرت خمرها، قال الشاعر:

((آلا يا زيد والضحاك سيرا **** فقد جاوزتما خمر الطريق))

أي سيرا سيراً فيه حذر وفيه تجلي، فقد جاوزتما الوهدة التي يستجلبها الذئب وغيره، أو التي يستتر بها الذئب وغيره، وقيل إنما سميت الخمر خمر لأنها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة، ومنه قولهم دخلت في خمار الناس أي اختلطت بهم، فالمعاني الثلاثة متقاربة، فالخمر تركت وتخمرت حتى أدركت ثم خالطت العقل ثم خمرته، والأصل الستر، والخمر ماء العنب الذي غلى أو طُبِخ، وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالْمَيْسِر﴾﴾: ما الميسر؟ الميسر قمار العرب للأزلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله - يخاطره يعني يراهنه ويقامر - فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله وأصحابه" فابن عباس رضي الله عنهما يقول إن الميسر قمار العرب كانوا

يتراهنون على الشيء، فإذا ما خرج رهان فلان فإنه يأخذ دابة الآخر ويأخذ غلماناً وما إلى ذلك ويذهب، وأصل الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه، يعني دائماً يتقامرون هم على أنفسهم ما عندهم وهو الإبل، فكانوا يتقامرون عليه، سمي ميسر لأنه يُجزأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة، وكل شيء جزأته يعني يسرته، والياسر الجازر، ولأنه يُجزئ لحم الجزور.

قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ كَبِيرٌ﴾ الإثم: الذنب، وقيل الإثم والآثام اسم للأفعال البطيئة عن الخيرات، يعني الأفعال المثبطة عن الخيرات يقال عنها إثم أو آثام.

• نأتي بعد إلى **القراءات القرآنية** في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿كَبِيرٌ﴾ يعني فيه قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ حمزة والكسائي، حمزة والكسائي هذان يعبر عنهما بالأخوين دائماً هما أهل لغة، قرأ ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قرأها ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ يعني بدل كبير قرأها كثير ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ وتوجيه هذه القراءة من حيث اللغة أن المنافع جاءت بالجمع يعني ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ لم تقل الآية ومنفعة للناس بل قالت ومنافع للناس، إذاً ناسب أن المنافع جاءت بالجمع فحسن معه جمع الآثام، يعني هذا توجيه للقراءة، وأيضاً أن النبي ﷺ لعن الخمر ولعن معها عشرة، لعن الخمر ولعن شاربها ولعن ساقياها... إلى آخر الحديث الذي عند أهل السنن، فكثير بدل كبير بالشاء، يعطي هذا المعنى.

وقرأ الباقر: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وتوجيه هذه القراءة من حيث اللغة أن الذنب في القمار وشرب الخمر من الكبائر فوصفه بالكبير أليق، وعلى كل هاتان قراءتان، والقراءة متى ما قرئ بها وبشروطها المعتبرة فإذا ما هذه إلا التماس شيء من هذا وذلك، وإلا فالأصل تواتر القراءة يكفي.

◀ **مسألة:** ما الكمية التي يصلح أن نطلق عليها أنها الخمر؟

أقوال الفقهاء في الكمية التي يصح أن نطلق عليها أنها خمر يعني الكمية التي تسكر الإنسان:

• ذهب أبو حنيفة إلى أن ما خرج من النخل والكرم أي العنب فقليله وكثيره حرام، ما لم يطبخ حتى يذهب ثلثه ويبقى ثلثه، وما عدا ما يخرج من النخل والعنب فهو حلال من غير طبخ، إلا أن المسكر منه حرام، إذاً أبو حنيفة يعني قوله واضح.

• وذهب مالك إلى أن كل من شرب مسكراً فسكر أو لم يسكر فقد وجب عليه الحد.

• وذهب الشافعي إلى أن اسم الخمر يقع على كل شراب مسكر من عنب كان أو غيره.

هذه إشارة يسيرة إلى أقوال الفقهاء رحمهم الله تعالى، وكما ذكرت لكم أن مجال البسط في مثل هذه الأمور كتب الفقه.

◀ **مسألة:** هل في الخمر والميسر منافع؟

ذكرنا قبل قليل، فلا ريب أن هناك بعض المنافع العاجلة مثل المكاسب المالية، وذلك لأن أهل مكة كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح، يعني نحن نعلم أن الشام أذرعَات وهي مدينة كانت مشتهرة، وكذلك بعلبك مشتهرتان بالخمور الجيدة ولا جيد في الخمر، فكانوا يجلبون من تلك البقاع برخص ويبيعونها في الحجاز بربح، وكانوا لا يرون المماكسة فيها، فطالب الخمر بالثمن الغالي يجد بغيته بعد أن يدفع للجانب سعراً عالياً غير السعر الذي دُفع هناك في الشام، وهذه لاشك منفعة اقتصادية.

وقيل في منافعها منافع الخمر أنها تهضم الطعام، وتقوي الضعف، وتعين على النكاح وما إلى ذلك، وهذه أمور حقيقة لا أدري هل لها صحة أم لا، لكن أنها مذكورة على كلٍّ، ولا أحسب أن لها صحة. ومنافع الميسر هي مصير الشيء إلى الإنسان في القمار بغير كد ولا تعب، ذكرنا أن الجزور والإبل وما إلى ذلك، فكانوا يشترون الجزور ويضربون بسهامهم فيخرج سهمه، فمن خرج سهمه أخذ نصيبه من اللحم ولا يكون عليه من الثمن شيء، ومن بقي سهمه آخراً كان عليه ثمن الجزور كله، وهذه لاشك فائدة، لأن الإنسان يجد شيء دونما كد.

لكن هل هذه الفوائد أو هذه المنافع تبليغ شيء؟ لا تبليغ شيئاً لاسيما أن الشيء محرم، طيب هل للخمر حد؟ لم يحفظ عنه ﷺ في الخمر أنه وضع حداً إلا أنه جلد أربعين في الخمر، وجعله عمر رضي الله عنه ثمانين، وبه قال الإمام مالك وغيره، فالرسول ﷺ كما هو مشهور من أنه جلد النعيمَان أربعين جلدة فلم يجد ﷺ للخمر حداً، والفقهاء ذهبوا آخذين ببعض الأحكام في هذا.